الإمام ابن هشام الأنصاري وتوجيهه للقراءات القرآنية في كتابه "شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب"

عبد الرحيم ثابت

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

tabet.rahim1985@gmail.com

مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

تاريخ الوصول: 2018/05/06 القبول:2019/01/02 / النشر على الخط:2019/01/05

Received :……l Accepted :……l Published online :……

ملخص البحث:

يندرج هذا البحث ضمن الدراسات القرآنية التي تعنى بتوجيه القراءات القرآنية والبحث عن عللها من خلال المصنفات العلمية الموضوعة في هذا الفنّ من علم القراءات، وهو يتناول بشكل أخصّ شخصية علمية أسهمت في خدمة القرآن والدفاع عنه من خلال مصنفاته النحوية ، وهذه الشخصية هي : الإمام ابن هشام الأنصاري الذي وظّف القراءات القرآنية شاهدا على كثير من القضايا والمسائل النحوية ، وقد كان كتابه شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب حاويا لكثير من القراءات القرآنية التي يتعرض لها في الغالب بالتوجيه والتعليل ، فجاء هذا المقال ليكشف عن بعض جهوده في توجيه القراءات والكشف عن عللها، مع بيان طريقته ومنهجه في الاحتجاج والتوجيه و بيان المسالك التي انتهجها في ذلك .

الكلمات المفتاحية: الإمام ابن هشام الأنصاري– القراءات القرآنية – شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب.

Abstract:

This study is focusing on kuarnis readings and different aspects from a grammatical point of view Through lbn hicham book shoudour Adahad

He through his work tried hard to explain different grammar aspects in Quranic readings and how it affects the meaning.

Our study is showing all the efforts lbn hicham did to clarify this very important matter in Arabic and Quranic studies.

Keywords: Imam Ibn Hisham Al-Ansari - Quranic readings- sharah shudhur aldhahab fi maerifat kalam alearab.

مقدّمة:

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبّره تكبيرا ، وأشهد ان لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ، وبعد :

فإنّ علم توجيه القراءات من أرفع العلوم قدرا ، وأنبلها خطرا ، وأوفرها أجرا ، لتعلقه بخير كتاب أنزل على أفضل رسول أرسل ــ القرآن الكريم ــ ، فشرف العلوم على قدر شرف المعلوم ، وإنّما كان علم توجيه القراءات من أجلّ العلوم لكونه يبحث عن معاني القراءات ودلالتها التي تحتملها بناء على الوجوه المختارة في الأداء أصولا وفرشا وتعليلها على حسب مقتضيات الصناعة النحوية أو اللغوية ، أو النقلية ، أو العقلية ، وقد نوّه أئمة علوم القرآن على جلالته ومكانته ، وحثوا على الاعتناء به ، فهذا الإمام الزّركشي يذكره على أنّه من أجلّ العلوم ، فيقول : «وهو فنّ جليل ، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتبا »«[1]».

وقال الإمام الكواشي مبيّنا فائدته كما نقل عنه الإمام الزركشي ما نصّه : « وفائدته أن يكون دليلا على حسب المدلول عليه أو مرجحا ، إلاّ أنّه ينبغي التنبيه على شيء ، وهو أنّه قد ترجّح احدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط القراءة الأخرى ، وهذا غير مرضي لأنّ كلتيهما متواترتان »«[2] » .

[1]ــ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ط 1 ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ـ مصر ـ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركائه ، 1376 هـ ـ 1957 م ، ج 1 ، ص 339.

هذا وقد أسهمت طوائف كثيرة من العلماء من المفسرين والمقرئين والنحويين واللغويين في التأليف والتصنيف فيه ، ومنهم من اعتنى به دونما تخصيصه بتأليف أو تصنيف محض ، بل تكّلم عنه في جملة مصنفاته النحوية أو اللغوية عند استشهاده بالقراءات القرآنية واحتجاجه بها على المسائل النحوية أو اللغوية ، ومن بين هؤلاء إمام عظيم من أئمة اللغة ، تبوأ منزلة رفيعة في النحو ، حتّى عدّ أنحى من سيبويه ــ ألا وهو الإمام ابن هشام الأنصاري ــ فقد كان له اعتناء واهتمام بالغ بالقراءات في مصنفاته النحوية ، حيث كان يستدل بها على كثير من القضايا والمسائل ، ويتعرض لتوجيها وتعليلها ، ومن أهمّ مصنفاته التي حوت كما هائلا من القراءات والتي حرص على بيان عللها كتاب شذور الذهب في معرفة كلام العرب .

ولذا حاولت في هذا البحث أن أبيّن جهوده في توجيه القراءات والكشف عن عللها، مع بيان طريقته ومنهجه في الاحتجاج والتوجيه .

ــ أسباب البحث ودوافعه :

وقد وقع اختياري على الإمام ابن هشام الأنصاري لعدّة أسباب أحصرها في النقاط الآتية :

1ــ إمامته في النحو وتضلّعه فيه،مع إلمامه بالقراءات واشتغاله بها، فقد كان من جامعي القراءات السبع

2 ــ اهتمامه بتوجيه القراءات في كتبه النحوية ، واستدلاله بها على كثير من القواعد النحوية ، لا سيّما في كتابه شذور الذهب في معرفة كلام العرب .

3 ــامتزاج توجيهاته بكثير من القضايا العلمية المتعلقة بالقراءات، وعلوم القرآن ، والتفسير.

4 ــ عدم تخصيصه بدراسة علمية جادة ومفصّلة ،تبيّن جهوده في التوجيه ، ومنهجه وطريقته فيه .

المبحث الأول : تعريف علم توجيه القراءات لغة واصطلاحا وبيان نشأته وتطوره.

المطلب الأول: تعريف التوجيه والاحتجاج لغة

يرى الباحث في علم توجيه القراءات اطلاق الأئمة المتقدمين عدة تسميات ومصطلحات على هذا العلم . كما هو ظاهر في مؤلفاتهم ومصنفاتهم التي خصوا بها هذا العلم ، فيعبّر بعضهم عنه بالاحتجاج

والحجة كما هو الشأن في كتاب احتجاج القرّاء لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285 هـ). وكتاب احتجاج القرأة لأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (ت 316 هـ) . والحال كذلك عند الإمام أبي علي الفارسي (ت 377 هـ)الذي سمّى كتابه الحجة في علل القراءات . وبعضهم يسميه بمسمى الوجوه من التوجيه ، كما هو الشأن في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ). والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها للإمام مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ) ، وبعضهم يسميه بالعلل كما هو الشأن عند الإمام أبي الفضل حبيش بن إبراهيم التفليسي (ت 629 هـ) الذي سمّى كتابه «تلخيص علل القرآن » . وأكثر هذه المصطلحات دورانا هو مصطلح الاحتجاج والتوجيه . ولهذا فإنّي سأتعرض لتعريف المصطلحين في اللغة بغية الوصول للمعنى الاصطلاحي لهذا العلم .

الاحتجاج على ورزن افتعال مصدر من الحج . والحج القصد والسير للبيت خاصة ، تقول حجّ يحجُ حجّاً . والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة . وجمعها حجج ... وإنّما سميت حجة لأنّها تُحج أي تقصد ، لأنّ القصد إليها ولها «[1]».

وقال الإمام ابن منظور : «والحجة البرهان ، وقيل : الحجة ما دوفع به الخصم . وقال الأزهري : الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ... وجمع الحجة حججٌ وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجاً نازعه الحجة ...»«[2]».

وقال الإمام الزبيدي :« والحجُ الغلبة بالحجة ، يقال : حجهُ يحجهُ حجاً ، إذا غلبه على حجته »«[3]».

فالمادة اللغوية من هذه المعاجم الثلاثة أفادتنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع إلى معنى الدليل والبرهان الذي يطلب عند الخصومة والجدال لدفع حجة المخالف .

[1] ـ ينظر: تهذيب اللغة ، ج 3 ، ص 19 ، باب ـ حج ـ

[2] ـ لسان العرب : ج 2 ، ص226 ، باب ـ حجج ـ .

[3] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 3 ، ص 314 ، باب ـ حجج ـ

هذا بالنسبة للاحتجاج ، و أمّا التوجيه فهو مصدر من الفعل وجّه. وأصله من لفظة الوجه قال الإمام الأزهري ـ رحمه الله ـ :« والعرب تقول : وجَّه الحجر جهة ماله وجهةٌ ، يضرب مثلا للأمر إذا لم يستقم من جهة أن يوجه له تدبير من جهة أخرى ...»«[1]».

وقال الإمام ابن منظور :«ووجه كل شيء مستقبله وفي التنزيل العزيز : « فأينما تولوا فثمّ وجه الله » ... ووجه الكلام السبيل الذي تقصده به ...وجّه الأمر وجهه يضرب مثلا للأمر إذا لم يستقم من جهة أن يوجه له تدبيرا من جهة أخرى. وأصل هذا في الحجر يوضع في البناء فلا يستقيم فيقلب على وجه آخر فيستقيم ...»«[2]».

وقال الإمام الزبيدي :« ... وليس لكلامك وجه: أي صحة »

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين أفادت أنّ مدلول لفظة «وجّه» يرادبها جعل الشيء إلى جهة ويراد بها أيضا الصحة والدليل.

المطلب الثاني: تعريف علم التوجيه والاحتجاج اصلاحا :

إذا ما جئنا نبحث عن تعريف لهذا العلم والفنّ من فنون علم القراءات فإنّنا لا نظفر بتعريف له عند الأئمة المتقدمين شأنه شأن غيره من العلوم ، فهم في الغالب لا يعتنون بالحدود والتعريفات . ويكتفون بالتمثيل والشرح والتحليل ، ولذلك فإنّ محاولة وضع حد لهذا العلم كان على يد المتأخرين المعتنين بعلم القراءات من الباحثين المعاصرين. وقد بحثت على بعض التعريفات لهذا العلم، ومن جملة ما وقفت عليه:

التعريف الأول :يعرفه جمال الدين محمد شرف بقوله :

«علم يقصد منه تبيين وجه القراءة والانتصار لها»([3]).

التعريف الثاني : ويعرفه سعيد الأفغاني:

«هو علم يبحث فيه عن ماهية القراءات ببيان عللها وتوجيهها من حيث اللغة والاعراب »«[1]».

---

[1] ـ تهذيب اللغة : ج 2 ، ص 349 ، باب ـ وجه ـ

[2] ـ ينظر : لسان العرب ، ج 13 ، ص 555 ، مادة ـ وجه ـ

[3] ـ ينظر : مقدمة الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها : جمال الدين محمد شرف ، ص 7.

وقد قام بشرح هذا التعريف وتوضيحه ، حيث قال :« وقد يطلق عليه علم القراءات، وهو يتعلق بدراية القراءات ، ويعني ذلك أنّه لماذا اختار القارئ قراءة معينة من بين القراءات الكثيرة التي صحت لديه .وكان يتقنها ؟ فهذا قد يكون هذا الوجه تعليلا نحويا أو لغويا ، وقد يكون معنويا أو نقليا يراعي القارئ فيه أخبارا وأحاديث استأنس بها في اختياره فالاحتجاج معناه : تعليل الاختيار وبيان وجهه من حيث اللغة الإعراب »«[2]».

التعريف الثالث : أما حازم سعيد حيدر فيعرفه بقوله :

« علم يقصد منه تبيين وجوه القراءات وعللها، والإيضاح عنها والانتصار لها »«[3]».

وبعد إيراده لهذا التعريف قام ببيان الطرق التي يكون بها التوجيه والتعليل ، حيث قال : « وهذه الوجوه والعلل متنوعة ، فتارة تكون وجها نحويا ، أو صرفيا يتعلق بوزن الكلمة أو اشتقاقها ، أو لغويا فيه علم الأصوات ، وتظهر في تعليلاته لغات (لهجات) العرب وأمثالهم ، وأقوالهم وأشعارهم معالم واضحة ، أو معنويا تتوقف معرفته على سبب النزول ، أو معرفة التفسير وغريب الألفاظ القرآنية ، أو نقليا تارة يعتمد على قراءات متواترة أو شاذة أو تفسيرية ، وتارة يعتمد على أحاديث أو رسم المصحف »«[4]».

المطلب الثالث : نشأة علم التوجيه وتطوره

ظهرت بوادر هذه العلم شأنه شأن غيره من العلوم الشرعية في ملاحظات شخصية وآراء فردية ابتدأ إثارتها بعض الصحابة رضوان الله عليه ، حيث حفلت كتب التفسير بذكر جملة من التوجيهات والتعليلات عنهم لبعض القراءات والاحتجاج لها ، فمن ذلك :

---

[1]ـ ينظر : مقدمة الحجة لابن زنجلة : سعيد الأفغاني ، ص 34 ـ 35

[2]ـ المصدر نفسه : ص 34 ـ 35

[3]ـ ينظر :مقدمة تحقيق شرح الهداية للمهدوي ، ص 20 .

[4] ـ المرجع نفسه: ص 20

ـ ما روي عن سيدنا بن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنّه قرأ قوله تعالى :﴿وانظر إلى العظام كيف ننشرها ﴾«[1]» بالراء المهملة المسبوقة بنون مفتوحة بعدها نون ساكنة وبعدها شين مضمومة«[2]». ويحتج لها بقوله تعالى : ﴿ثمّ إذا شاء أنشره ﴾«[3]» . وكلاهما قراءتان متواترتان، ووجه الاحتجاج لهذه القراءة هو التأكيد على أنّ المراد بالنشر هو الإحياء بعد الإماتة .

ـ ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنّه قرأ قوله تعالى:﴿ حتّى إذا استأيس الرسل وظنّوا أنّهم قد كذبوا ﴾«[4]» بتخفيف الذال من لفظة « كذبوا » مفسرا إيّاها بأنّ الرسل قد ظنّوا بأنّهم كذّبوا فيما أمّلوه من النصر ووعدوا به »«[5]» . ولما سمعت عائشة رضي الله عنها هذا التفسير ردتّه واحتجت عليه بقراءة من قرأ كذّبوا بالتشديد ، حيث روى الإمام الطبري ذلك في تفسيره قائلا :

« وقد ذكر هذا التأويل الذي ذكرناه أخيرا عن ابن عباس لعائشة فأنكرته أشدّ النكرة فيما ذكر لنا « ...حدّثنا الحسن بن محمد قال: حدّثنا عثمان بن عمر ، قال : حدّثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة ، أنّ ابن عباس قرأ : «وظنّوا أنّهم قد كذبوا » ، فقال : كانوا بشرا ، ضعفوا ويئسوا ، قال ابن أبي مليكة فذكرت ذلك لعروة ، فقال : قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ معاذ الله ما حدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط إلاّ علم أنّه سيكون قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتّى ظنّ الأنبياء أنّ من تبعوهم قد كذّبوهم ، فكانت تقرأها «كذّبوا » تثقلها »«[6]».

ففي هذا الأثر يظهر ترجيح معنى في التفسير على معنى آخر بتوجيه قراءة واختيارها .

---

[1] ـ سورة البقرة : الآية 259 .

[2] ـ ينظر : تفسير البحر المحيط أبو حيّان الأندلسي ، ج 2 ، ص 305

[3] ـ سورة عبس : الآية 22

[4] ـ سورة يوسف : الآية 110

[5] ـ ينظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير ، الشوكاني ،ج 3 ، ص 86

[6] ـ جامع البيان عن تأويل آيالقرآن :ج 16 ، ص 307

وهكذا تتابعت الإشارات الفردية والملاحظات الشخصية لتوجيه بعض القراءات القرآنية فتجاوزت عصر صغار الصحابة لتصل لكبار التابعين وصغارهم. وكان من بين المأثور عنهم بعض التوجيهات والتعليلات بعض القراء من أصحاب المتواتر والشواذ ، ومن النماذج والأمثلة المروية عنهم في التوجيه والتعليل:

ـ ما روي عن عاصم الجحدري ـ رحمه الله ـ المتوفى (128 هـ) أنّه كان يقرأ لفظة مالك من قوله تعالى : ﴿مالك يوم الدين ﴾«[1]» بغير ألف ويحتج على من قرأها بالألف أنّه كان يلزمه أن يقرأ قوله تعالى : ﴿ملك الناس﴾«[2]» بغير ألف، وفي هذا احتجاج بالقياس أي قياس وجه على وجه وليس مستند الاحتجاج هنا وجها نحويا أو صرفيا أو لغويا مرجعه للّهجات.

ـ ما روي عن أبي عمرو بن العلاء البصري المتوفى (154هـ) أنّه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿ حتّى يصدر الرعاء ﴾«[3]» بفتح الياء وإسكان الصاد وضمّ الدال . والمعنى : حتّى يرجعوا من سقيهم ، ويحتج بها على قراءة يصدر بضم الياء ، ويقول : « والمراد من ذلك حتّى ينصرف الرعاء من الماء ، ولو كان يصدر كان الوجه أن يذكر المفعول فيه فيقول : «حتّى يصدر الرعاء ماشيتهم» فلمّا لم يذكر مع الفعل المفعول علم أنّه غير واقع ، وأنّه يصدر الرعاء بمعنى ينصرفون عن الماء ...»«[4]»

فيظهر من هذا النقل احتجاج أبي عمرو ـ رحمه الله ـ لقراءته ونصرته لها من مستند نحوي يعتمد على الصناعة النحوية.

ـ ما روي عن الكسائي أنّه قرأ أمام حمزة بن حبيب قوله تعالى : ﴿فأكله الذيب﴾«[5]» بغير همزة ، فقال فقال حمزة : الذئب بالهمزة ، فقال الكسائي : وكذلك أهمز الحوت «فالتقمه الحؤت»، قال: لا قال : فلم همزت «الذئب» ولم تهمز «الحوت» وهذا «فأكله الذئب» . وهذا «فالتقمه الحوت» ؟ فرفع حمزة

[1]ـ سورة الفاتحة : الآية 4
[2] ـ سورة الناس : الآية 2
[3]ـ سورة القصص : الآية 23
[4] ـ ينظر : حجة القراءات ، ابن زنجلة ، ص 543.
[5]ـ سورة يوسف : الآية : 17

بصره إلى خلاد الأحول ... فتقدّم إليه في جماعة من أهل المجلس. فناظروه فلم يصنعوا شيئا ، فقالوا : أفدنا رحمك الله

فقال لهم الكسائي : ... تقول إذا نسبت الرجل إلى الذئب : قد استذأب الرجل ، ولو قلت : قد استذاب بغير همز لكنت إنّما نسبته إلى الهزال ، تقول : قد استذاب الرجل إذا استذاب شحمه بغير همز، فإذا نسبته إلى الحوت تقول: قد استحات الرجل أي كثر أكله ، لأنّ الحوت يأكل كثيرا ، ولا يجوز فيه الهمز ، فلهذه العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت ...»«[1]».

وقد تنامت هذه الاحتجاجات والتوجيهات الفردية وتطورت فأصبحت مبثوثة في كتب مصنفة متنوعة . لا سيما عند أهل النحو واللغة فقد وجدوا في القراءات القرآنية مادة أولية لتأكيد وتقرير كثير من القواعد النحوية والصرفية ، فيستعملون القراءات كشواهد للاحتجاج . ويعترضون عليها أيضا إذا خالفت بعضا من قواعدهم التي يدّعون الإجماع فيها ، ومن أكثر المصنفات الواردة فيها كثير من الاحتجاجات الفردية في القرن الثاني الهجري والثالث كتاب سيبويه المتوفى (180 هـ) . وقد نصّ كثير من الباحثين على توفر مادة الاحتجاج في كتاب سيبويه بشكل كبير ، حيث قال أحدهم :« ... تجد الاستشهاد بالقراءات ولها مالئا كتاب سيبويه . وتستطيع أن تعدّ ذلك مذهب أستاذه الخليل إذ كان سيبويه كثير النقل عنه والتأثر به »«[2]» . ومن النماذج التي تؤكد صحة هذا القول :

ورد في كتاب سيبويه في باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده قوله ـ رحمه الله ـ : « وحدّثنا من نثق به أنّه سمع من العرب من يقول : إن عمرا لمنطلق . وأهل المدينة يقرؤون : ﴿وإن كلاًّ لما ليوفيّنهم ربُّك أعمالهم ﴾«[3]» يخففون وينصبون . كما قالوا : كأن ثدييه حقان.

[1] ـ ينظر : انباه الرواة : ج2 ، ص 258 ـ 259

[2] ـ ينظر : مقدمة حجة القراءات لابن زنجلة ، سعيد الأفغاني ، ص 21 .

[3] ـ سورة هود : الآية 111 .

وذلك لأنّ الحرف بمنزلة الفعل ، فلمّا حذف من نفسه شيء لم يغير عمله كما لم يغير عمل لم يك ولم أبل حين حذف، وأمّا أكثرهم فأدخلوها في حروف الابتداء بالحذف كما أدخلوها في حروف الابتداء حين ضموا إليها ما »«[1]».

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر : « و قد بلغنا أنّ بعض القراء قرأ : ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾«[2]» . وذلك لأنّه حمل الفعل على موضع الكلام ، لأنّ هذا الكلام في موضع يكون جوابا ، لأنّ أصل الجزاء الفعل ، وفيه تعمل حروف الجزاء ، ولكنّهم يضعون في موضع الجزاء غيره »«[3]».

ومن الكتب التي حوت كمّا هائلا من الاحتجاج والتوجيه للقراءات أو الاعتراض على بعضها كتب معاني القرآن التي ألفت في مطلع القرن الثالث الهجري. ومن أبرزها كتاب معاني القرآن لأبي يحي زكريا الفراء ، وكتاب معاني القرآن للأخفش ، وكتاب معاني القرآن للزجاج ،وسأذكر على سبيل المثال بعض النماذج التي تضمنتها هذه الكتب :

ـ في معرض إيضاحه لقوله تعالى: ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ﴾«[4]» قال الإمام الفرّاء :« وقوله : فنادته الملائكة » يقرأ بالتذكير والتأنيث . وكذلك فعل الملائكة وما أشبههم من الجمع يؤنث ويذكر . وقرأت القراء: «يعرج الملائكة وتعرج » . «وتتوفاهم ويتوفاهم الملائكة »، وكلّ صواب فمن ذكّر ذهب إلى معنى التذكير . ومن أنث فلتأنيث الاسم ، وأنّ الجماعة من الرجال والنساء يقع عليه التأنيث . والملائكة في هذا الموضع جبريل صلى الله عليه وسلم وحده. وذلك جائز في العربية: أن

[1] ـ الكتاب : ج 2 ، ص 140.
[2] ـ سورة الأعراف : الآية 186
[3] ـ المصدر نفسه : ج 3 ، ص 90 ـ 91
[4] ـ سورة آل عمران : الآية 39

يخبر عن الواحد بمذهب الجمع، كما تقول في الكلام خرج فلان في السفن وخرج في سفينة واحدة ...»«[1]».

ـ في معرض إيضاحه لقوله تعالى : ﴿ فتلقى آدام من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التوّاب الرّحيم ﴾«[2]» قال الإمام الأخفش : « قوله : (فتلقى آدم من ربّه كلمات) . فجعل آدم المتلقي،وقد قرأ بعضهم آدم نصبا ورفع الكلمات جعلهنّ المتلقيات »([3])

ـ في معرض إيضاحه لقوله تعالى :﴿ قل للّذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم وبئس المهاد ﴾«[4]» قال الإمام الزّجاج ـ رحمه الله ـ :« وتقرأ (سيغلبون) فمن قرأ بالتاء فللحكاية والمخاطبة ، أي قل لهم في خطابك ستغلبون ، ومن قال (سيغلبون) ، فالمعنى بلّغهم أنّهم سيغلبون ، وهذا فيه أعظم آية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنّه أنبأهم بما لم يكن وأنبأهم بغيب ، ثمّ بان تصديق ما أنبأ ، لأنّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ غلبهم أجمعين كما أنبأهم »([5]).

وفي كتب التفسير توجد توجيهات لكثير من القراءات القرآنية الشّاذة والمتواترة على حدّ سواء ، فقد حرص المفسّرون ولا سيّما المعتنون والمشتغلون منهم بعلم القراءات على إيراد كثير من القراءات أثناء تفسيرهم للآيات القرآنية ذاكرين في ذلك عللها ، ومن بين هؤلاء نجد الإمام الطبّري الذي كان جامعه مليئا بتلك التوجيهات ، وكذلك الكشّاف للزّمخشري ، والمحرّر الوجيز لابن عطية ، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، والبحر المحيط لأبي حيّان ، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ، وغيرها من أمهات التفسير ودواوينه .

[1] ـ ينظر : معاني القرآن : ج 1 ، ص 210 .
[2] ـ سورة البقرة : الآية 37
[3] ـ ينظر : معاني القرآن : ج 1 ، ص 53
[4] ـ سورة آل عمران : الآية 12
[5] ـ ينظر: معاني القرآن وإعرابه : الزّجاج ،ج 1 ، ص 380

وقد خطى علم التوجيه والاحتجاج للقراءات القرآنية خطوة الاستقلال بالتأليف والتصنيف،فلم يبق مقصورا على الآراء الفردية،أو مبثوثا في ثنايا الكتب اللغوية والتفسيرية . والذي عجّل باستقلاليته وإفراده بالتأليف هو ظاهرة جمع القراءات وتخصيصها بكتب ممّا حدا بالعلماء من اللغويين والنحويين للاحتجاج لتلك القراءات ودفع بعض المطاعن عنها ، وسأورد جملة من تلك المصنفات على حسب الترتيب الزمنّي لمؤلفيها :

1 ـ كتاب في (وجوه القراءات) لهارون بن موسى الأعور المتوفي قبل سنة 200 للهجرة . وقد قال في حقّه الإمام أبو حاتم السّجستاني : « كان أوّل من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألّفها ، وتتبّع الشّاذ منها فبحث عن إسناده : هارون بن موسى الأعور »([1])

2 ـ كتاب (الجامع) للإمام المقرئ يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205هـ) قال الإمام الزبيدي في شأنه : « جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات ، ونسب كلّ حرف إلى من قرأ به ...» ([2])

3 ـ كتاب (القراءات) لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت 224 هـ) . وقد أخبر ابن الجزري بأنّه كان أوّل إمام معتبر جمع كتابا في القراءات([3]) ، وإضافة لجمعه تلك القراءات فقد قام بتعليل ما فيها وجوه . ونصّ على تعليله لما جمع الإمام الدّاني ، حيث ذكره في أرجوزته مثنيا عليه بقوله :

والقاسم الإمام في الحروف أبو عبيد صاحب التصنيف
اختار من مذاهب الأئمة ما قد فشا وصحّ عند الأمّة
وذاك في تصنيفه مسطّر معلّل مبيّن محرّر ([4])

ففي لفظة (معلّل) إشارة من الإمام الدّاني لاعتناء أبي عبيد بتعليل ما أورده من قراءات في تأليفه

ـ كتاب وجوه القراءات لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276 هـ) ([1])

[1] ـ غاية النهاية في طبقات القرّاء : ج 1 ، ص 348

[2] ـ طبقات النحويين واللغويين : ص 51

[3] ـ غاية النهاية في طبقات القراء : ج 1 ، ص 34

[4] ـ الأرجوزة المنبهة على أسماء القرّاء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات، ص 161.

ـ كتاب احتجاج القراءات لمحمد بن يزيد المبرّد (ت 285 هـ)([2])

ـ كتاب احتجاج القراءة لأبي بكر محمد بن السرّي السّراج (ت 316 هـ)([3])

ـ كتاب علل القراءات لأبي منصور محمد بن أحمد الهروي الأزهري (ت 370 هـ)([4])

ـ كتاب إعراب القراءات السبع وعللها أبي عبد الله الحسين ابن أحمد بن خالويه (ت 370هـ)([5])

ـ كتاب (الحجة في القراءات السبع) له أيضا ([6])

ـ كتاب (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) لأبي الفتح عثمان بن جنّي (ت 392 هـ)([7])

ـ كتاب (حجة القراءات) لأبي زرعة عبد الرحمان بن زنجلة (ت 403 هـ)([8])

ـ كتاب الكشف عن القراءات السّبع وعللها لمكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)([9])

ـ كتاب (شرح الهداية) لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي (ت 440 هـ)([10])

ـ كتاب (تعليل القراءات) لأبي عبد الله محمد بن طيفور السّجاوندي (ت 560 هـ)

---

[1] ـ تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة ، ص 64 .

[2] ـ ينظر : إنباه الرواة على أخبار النحاة : القفطي ، ج 3 ، ص 251 .

[3] ـ المصدر نفسه : ج 3 ، ص 149 .

[4] ـ طبع جزء منه تحت عنوان : معاني القراءات ، بتحقيق : عيد مصطفى درويش ـ عوض بن حمد القوزي ، عن دار المعارف بالقاهرة عام 1412هـ

[5] ـ مطبوع بعدة تحقيقات منها : تحقيق : عبد الرحمان العثيمين، ط 1 ،القاهرة مكتبة الخانجي ، 1413 هـ .

[6] ـ مطبوع بتحقيق : الدكتور عبد العال سالم مكرم

[7] ـ مطبوع بتحقيق : على النجدي ناصف ـ عبد الحليم النجار ـ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، بإصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر ـ 1430 هـ ـ2009 م

[8] ـ مطبوع بتحقيق : سعيد الأفغاني : ط 5 ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ، 1418 هـ ـ 1997 م .

[9] ـ مطبوع بتحقيق : جمال الدين محمد شرف ، ط 1 ، طنطا ـ دار الصحابة ـ ، 1430 هـ ـ 2009 م.

[10] ـ مطبوع بتحقيق : حازم سعيد حيدر ، ط 1 ، الأردن ـ دار عمار ـ ، 1427 هـ ـ2006 م.

ـ كتاب(الموضح في وجوه القراءات وعللها)لأبي عبد الله نصر بن علي الشيرازيالمعروف بابن أبي مريم (ت 565هـ)([1])

ـ كتاب (وجوه القراءات وعللها) لأبي المعالي محمد بن الفرج بن معالي المعروف بفخر الموصلي (ت 621 هـ) ([2])

ـ كتاب في التفسير ووجوه القراءات لمحمد بن سليمان الكافيجي المصري الحنفي (ت 879 هـ)

ـ كتاب (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر) لأحمد بن محمد الدّمياطي الشهير بابن البناء (ت 1117 هـ)([3])

ـ كتاب (الدرر المتناثرة في توجيه القراءات المتواترة)لأحمد بن محمد بن عجيبة التطواني (ت 1228 هـ)

ـ كتاب (القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب) للشيخ عبد الفتاح القاضي (ت 1403 هـ)([4])

ـ كتاب (طلائع البشر في توجيه القراءات العشر) للشيخ محمد صادق قمحاوي (ت 1405 هـ)([5])

ـ كتاب (المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة) للدكتور محمد سالم محيسن ([6]).

المبحث الثالث : توجيه الإمام ابن هشام للقراءات العشر المتواترة

[1] ـ مطبوع بتحقيق : عمر حمدان الكبيسي : ط 1 ، جدة ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، 1414 هـ ـ 1993 م.

[2] ـ ينظر : معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار ، ج 2 ، ص 614

[3] ـ مطبوع بتحقيق : الشيخ على محمد الضباع ، وحققه الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، وأنس مهرة تحت طباعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419 هـ ـ 1998 م .

[4] ـ مطبوع عدّة طبعات منها : طبعة عيسى الحلبي ـ مصر ـ ، وطبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ

[5] ـ مطبوع عدة طبعات منها : طبعة دار العقيدة ـ القاهرة ـ 1427 ـ 2006 م .

[6] ـ مطبوع عدة طبعات منها : طبعة دار الجيل ـ بيروت ـ ، وطبعة مكتبة الكليات الأزهرية ـ مصر ـ 1408 هـ ـ1988 م .

لقد وضع أئمة القراءات شروطا للقراءة الصحيحة عرفت هذه الشروط بأركان القراءة الصحيحة متى ما توافرت في قراءة وتواجدت فيها حكم بصحتها ، وإذا انعدمت أو عدم منها ركن حكم على تلك القراءة بالشذوذ وعدم الصحة . وهذه الأركان هي :

ـ أن تكون القراءة متواترة

ـ أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه

ـ أن تكون موافقة للرّسم العثماني ولو احتمالا

ولقد كانت القراءات العشر جامعة لهذه الشروط ومستوفية لها ، فحكم عليها بأنّها متواترة ، وهي التي يقرأ بها ويتعبّد بها ولا يجوز لأحد إنكارها لأنّها من المعلوم من الدين بالضرورة على حدّ قول الإمام السبكي الذي رفع إليه سؤال عن حكم القراءات العشر ،والذي رفعه إليه هو الإمام ابن الجزري ، فجاء جوابه ـ السبكي ـ قائلا :«الحمد لله، القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنّه منزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لا يكابر في ذلك إلا جاهل، وليس تواتر شيء منها مقصورًا على من قرأ بالروايات بل هي متواترة عند كل مسلم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولو كان مع ذلك عاميًّا جلفًا، لا يحفظ من القرآن حرفًا، ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا يسع هذه الورقة شرحه، وحظ كل مسلم وحقه أن يدين الله تعالى، ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر، معلوم باليقين، لا يتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه، والله أعلم. كتبه عبد الوهاب بن السبكي الشافعي»«[1]».

وقد كان الإمام ابن هشام الأنصاري من الجامعين للقراءات السبع والمقرئين بها ، فقد أخذها عن شيوخ وقته في علم القراءات بالديار المصرية ، كما كان ملمّا ومطلعا بكثير من القراءات سواء الثلاثة المكملة للعشرة ، أو الشاذة ، وقد كثرت الإشارة منه في كتابه شذور الذهب للقراءات عند استشهاده بها على بعض القواعد النحوية أو التخريجات في دفع بعض الاعتراضات ، وتنوعت القراءات التي ذكرها من بين

[1] ـ ينظر: النّشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، ج 1 ، ص 46.

متواترة وشاذة ، وقد ارتأيت في مقالي هذا أن أتحدّث عن توجيهه للقراءات المتواترة منتقيا جملة منها بغية الكشف عن منهجه في التوجيه والاحتجاج واستبانة طريقته في توظيف القراءات القرآنية في الدرّس النحوي .

ـ المطلب الأول :توجيه قراءة (ألاّ يسجدوا)

في معرض ذكره لعلامات الاسم وحديثه عن علامة النداء أشار إلى دخول حرف النّداء على ما ليس باسم فقال ـ رحمه الله ـ : « فإن قلت فما تصنع في قراءة الكسائي :« ألاَّ يا اسجدوا للّه » فإنّه يقف على (ألا يا) ويبتدئ باسجدوا ، بالأمر ، وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾([1]) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «ياربّ كاسية عارية في الدّنيا عارّية يوم القيامة »([2]) ، فدخل حرف النّداء فيهنّ على ما ليس باسم ؟

قلت : اختلف في ذلك ونحوه على مذهبين :

أحدهما : أنّ المنادى محذوف ، أيْ : يا هؤلاء اسجدوا ، ويا قوم ليتنا نردّ ، ويا قوم ربّ كاسية عارية في الدنيا .

والثاني : أنّ «يا » فيهنّ للتنبيه ، لا للنداء . »([3])

فيظهر من كلام الإمام بن هشام ـ رحمه الله ـ أنّه وجّه قراءة الكسائي في هذا الموضع على حذف المنادى مقدّرا إيّاه بلفظة اسجدوا ، كما أشار إلى توجيه آخر محتمل في هذه القراءة وهو اعتبار حرف «يا» للتنبيه لا للنّداء ، وقد أشار إلى هذا التوجيه الذي ذكره الإمام بن هشام أئمة القراءات لا سيّما المصنفون في علل القراءات وتوجيهها منهم الإمام مكي بن أبي طالب القيسي ، حيث قال : « وحجّة من خفّف ألا أنّه جعلها استفتاحا للكلام ، فالوقف على ما قبل «ألا» في هذه القراءة حسن وجعل ما

---

[1] ـ سورة الأنعام : الآية 27

[2] ـ أخرجه البخاري : كتاب العلم ، باب العظة والعلم بالليل ، ، جَ 1 ، ص ، 34 ، رقم 115 ، عن أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ

[3] ـ شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ص 40 ـ 41 .

بعد ألا منادى قد حذف وبقيت يا تدّل عليه ، وذلك جائز في لغة العرب، قد جاء في ذلك في أشعارها وكلامها ، يكتفون بياء عن الاسم المنادى ، أو يحذفونه لدلالة الكلام و«يا» عليه ، يقولونّ : ألا يا انزلوا ، ألا يا ادخلوا ، يريدون :ألا يا هؤلاء انزلوا ، ألا يا هؤلاء ادخلوا ، كذلك الآية تقديرها : ألا يا اسجدوا ، فلذلك قلنا : يقف على يا ويبتدئ اسجدوا في هذه القراءة ، وإنّما حذفت ألف يا من اللفظ لسكونها وسكون السين بعدها ، فصارت الياء في اللفظ متصلة بالسين كياء الاستقبال ، وعلى ذلك أنشدوا :

فقالت ألا يا اسمع نعظك بخطبة فقلت سميعا فانطقي وأصيبي

يريد ألايا هذا اسمع . ..» ([1])

ووجّه قراءة الإمام الكسائي بنفس هذا التوجيه الإمام أبو العبّاس المهدوي ، والإمام ابن أبي مريم ، وتقدير المنادى محذوفا في هذه القراءة أرجح من حمل «يا» على أنّها للتنبيه ، لأنّ الغالب في فصيح الكلام أن يقدّر المنادى محذوفا في كل ما وقع فيه حرف النّداء قبل فعل الأمر أو جملة الدّعاء ، وعليه جاء التنزيل ، نحو : قوله تعالى : ﴿يا موسى أقبل ولا تخف﴾«[2]» ، ونحو :﴿يحيى خذ الكتاب بقوة﴾«[3]»، ونحو : «ربّنا استغفر لنا » ، وإذا وقع بعد حرف النّداء ليت أو ربّ فالرّاجح جعل هذا الحرف دالاّ على التنبيه لأنّه لم يكثر وقوع المنادى مذكورا قبله ([4])

المطلب الثاني :توجيه قراءة (مائة سنين)

في معرض ذكره للملحقات بجمع المذكر السالم قال ـ رحمه الله ـ :«ومن شواهد سنين قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾([5]) تقرأ (مائة) على وجهين : منونة ،

[1] ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها : ج 2 ، ص 622 ـ 623 .

[2] ـ سورة القصص : الآية 31

[3] ـ سورة مريم : الآية 12

[4] ـ ينظر : منتهى الأرب بتحقيق شذور الذهب ، محمد محي الدين عبد الحميد ،ص 40 ـ 41

[5] ـ سورة الكهف : الآية 25

وغير منونة ، فمن نوّنها «فسنين» بدل من ثلاث ، فهي منصوبة ، والياء علامة النّصب ، قيل : أو مجرورة بدل من مائة ، والياء علامة الجرّ ، وفيه نظر ، لأنّ البدل يعتبر لصحته إحلاله محلّ الأوّل مع بقاء المعنى ، ولو قيل ثلاث سنينَ لا ختّل المعنى كما ترى ، ومن لم ينونها فسنين مضاف إليه فهي مخفوضة ، والياء علامة الخفض » ([1])

فالإمام ابن هشام يخبر بأنّ لفظة مائة في هذه الآية قرئت بقراءتين : منونة وغير منونة ، دون ذكره لمن قرأ بالقراءتين ، والذين قرأوا بحذف التنوين هم حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ البقية من العشرة بالتنوين ، ثمّ ذكر ما يتخرج عن القراءتين من إعراب لفظة سنين ، فمن نوّن لفظة مائة فسنين تحتمل أن تكون بدلا من ثلاث وهي منصوبة، أو أن تكون مجرورة بدلا من مائة ، ومن لم ينونها فسنين مضاف إليه ، وقد اعترض عن احتمال كون سنين مجرورة بدلا من مائة لأنّ من شرط صحة البدل عند النحويين هو صحة إحلال محل الأول أي : البدل في موضع المبدل منه مع بقاء المعنى . وهذا الشرط منتف على هذا التقدير ، وقد أورد هذا التخريج للفظة سنين على القراءتين كثير من المقرئين والمفسرين منهم الإمام مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله ـ حيث قال :« ... وحجة من أضاف أنّه أجرى الإضافة إلى الجمع كالإضافة إلى الواحد في قولك : ثلاث مائة درهم ، وثلاث مائة سنة ... وحجة من لم يضف أنّ هذا العدد إنّما يبين بواحد يضاف إليه، وليس المستعمل فيه أن يضاف إلى جمع ...، فلمّا لم يضف نون المائة وجعل سنين بدلا من «ثلاثة مائة » أعني من ثلاث فكأنّه قال : ولبثوا في كهفهم سنين ، وقيل: سنين عطف بيان على «ثلاث» ، وقيل: هي بدل من «مائة» ، لأنّ «مائة» بمعنى مئين ، والتنوين هو الاختيار لأنّه المستعمل المشهور ، ولأنّ الأكثر عليه » ([2])

وقال الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ :« ... وقرأ الجمهور ثلاثمائة سنين بتنوين مائة ونصب سنين على البدل من ثلاثمائة وعطف البيان ، وقيل : على التفسير والتمييز ، وقرأ حمزة والكسائي ويحيى وطلحة والأعمش بإضافة مائة إلى سنين وترك التنوين وكأنّهم جعلوا سنين بمنزلة سنة إذ المعنى بهما واحد

[1] ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ص 87 .

[2] ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها : ج 2 ، ص 531 ـ 532

...»([1]) . وقام بنقل هذا التوجيه عن الإمام ابن عطية الإمام ابن جزي الكلبي«[2]» وأبو حيّان الأندلسي([3]) ، وأمّا ما اعترض عليه بن هشام من كون سنين بدل مجرورة من مائة ، فقد ذكر الإمام أبو البقاء العكبري إجازة قوم لذلك فقال : « ... يقرأ بتنوين مائة ، وسنين على هذا بدل ، وأجاز قوم أن تكون بدلا من مائة ، لأنّ مائة في معنى مئات ...» ([4])

المطلب الثالث: توجيه قراءة (إنّه من يتقِّ)

في معرض حديثه عن الفعل المضارع المعتل الآخر وكيفية إعرابه قال ـ رحمه الله ـ : «وأمّا قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾([5])بإثبات الياء في (يتّقي) وإسكان الرّاء في (يصبرْ) على ـ قراءة قنبل ـ فمؤول هذا جواب سؤال تقديره أنّ الجازم وهو (من) دخل على (يتّقي) ولم يحذف منه حرف العلّة ، وهو الياء ، فالجواب عنه أنّ (من) موصولة لا أنّها شرطية ، وسكون الرّاء من (يصبرْ) : إمّا لتوالي حركات الباء والرّاء والفاء والهمزة تخفيفا ، أو لأنّه وصل بنيّة الوقف ، أو على العطف على المعنى ، لأنّ «من» الموصولة بمنزلة الشرطية لعمومها وإبهامها »«[6]».

يظهر من خلال هذا النّص توجيه الإمام بن هشام الأنصاري لقراءة قنبل عن ابن كثير ، حيث أورد اعتراضا ثمّ قام بدفعه وتأويله ، حيث أخبر أنّ ظاهر لفظة «يتق » يقتضي أن تكون فعلا مضارعا مجزوما بمن الشرطية ، فهي واقعة في محل فعل الشرط والأصل في علامة جزمها حذف حرف العلة ، لأنّها معتلة الآخر وقراءة قنبل عن ابن كثير وردت بإثبات ياء يتقي ، ثمّ قام بدفع هذا الإشكال مخبرا أنّ «من» في الآية ليست شرطية ، بل هي موصولة . وأنّ السكون الذي في الفعل «يصبرْ» الذي كان في

---

[1]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 534 .

[2]ـ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 491 .

[3]ـ ينظر: تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 112 .

[4]ـ إملاء ما منّ به الرحمان في إعراب القرآن : ص 101.

[5] ـ سورة يوسف : الآية 90

[6]ـ شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ص 92.

ظاهر القراءة هو جواب الشرط يحتمل أن يكون لتوالي حركات الباء والرّاء والفاء والهمزة تخفيفا ، أو لأنّ قنبل وصل بنية الوقف ، أو لاحتمال أن يكون على العطف على المعنى ، وهذا التوجيه الذي أورده الإمام بن هشام ذكر فيه احتمالين لقراءة قنبل، وذكر كثير من المقرئين والمفسرين ثلاثة توجيهات لقراءة قنبل ، اثنان منهما أوردهما بن هشام ، والثالث : هو احتمال أن يكون قدّر الضمّة في الياء تشبيها للمعتّل بالفعل الصحيح الذي تقدّر فيه بعض الحركات كالمقصور ، وبالتالي يصير الجزم كأنّه بحذف الضمّة . وهذا الاستعمال وارد في كلام العرب وأنشدوا عليه :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

والشاهد فيه :«يأتيك » فقد أبقى الياء والفعل مجزوم بألم . وفي هذا تشبيه له بالفعل الصحيح ، وهي من لغات العرب وإن كانت قليلة ، وقد ذكر التوجيهان اللذان أوردهما بن هشام جلّ المفسرين والموجهين للقراءات منهم الإمام بن عطية ـ رحمه الله ـ حيث قال : « وقرأ الجمهور : ومن يتق ويصبر وقرأ بن كثير وحده : من يتقي ويصبر بإثبات الياء ، واختلف في وجه ذلك فقيل : قدّر الياء متحركة وجعل الجزم في حذف الحركة . وهذا كما قال :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

قال أبو علي : وهذا ممّا لا نحمله عليه ، لأنّه يجيء في الشعر لا في الكلام ، وقيل : من بمعنى الذي ويتقي فعل مرفوع ويصبر عطف على المعنى وإن كانت بمعنى الذي ففيها معنى الشرط ونحوه قوله تعالى : « فأصدّق وأكن من الصالحين » ([1]) ، وقيل : أراد يصبر بالرفع لكنّه سكّن الرّاء كما قرأ أبو عمرو يأمرْكم بإسكان الرّاء »([2])

ونصّ على نفس التوجيه الإمام أبو حيّان الأندلسي ـ رحمه الله ـ حيث قال :« وقرأ قنبل : من يتقي، فقيل : هو مجزوم بحذف الياء التي هي لام الكلمة ، وهذه الياء إشباع ، وقيل : جزمه بحذف الحركة على لغة من يقول : لم يرمي زيد ، وقد حكوا ذلك لغة. وقيل: هو مرفوع، ومن موصول بمعنى الذي

[1] ـ سورة المنافقون : الآية 10

[2] ـ المحرّر الوجيز في تفسير القرآن العزيز : ج 3 ،ص 284

،وعطف عليه مجزوم وهو : ويصبر ، وذلك على التوهم. كأنه توهم أن من شرطية، ويتقي مجزوم. وقيل : ويصبر مرفوع عطفاً على مرفوع ، وسكنت الراء لا للجزم ، بل لتوالي الحركات ، وإن كان ذلك من كلمتين ، كما سكنت في يأمركم ، ويشعركم ، وبعولتهن ، أو مسكناً للوقف ، وأجرى الوصل مجرى الوقف . والأحسن من هذه الأقوال أن يكون يتقي مجزوماً على لغة ، وإن كانت قليلة ، ولا يرجع إلى قول أبي علي قال : وهذا مما لا يحمل عليه ، لأنه إنما يجيء في الشعر لا في الكلام ، لأن غيره من رؤساء النحويين قد نقلوا أنه لغة»([1]).

ونصّ على نفس وجوه التعليل المذكورة في قراءة بن كثير جماعة من المصنفين في التوجيه والعلل ،منهم الإمام المهدوي القائل : « ... قراءة قنبل«يتقي» بالياء يحتمل ثلاثة أوجه ، أحدها : أن تكون(من) بمعنى الذي ، وإذا كانت بمعنى الذي ففيها معنى الشرط ، فيكون الجزم حينئذ حملا على المعنى ، كما قال (فأصدّق وأكن من الصالحين) ، وكما قال :« فمن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم » في قراءة من جزم ، والوجه الثاني : أن يكون قدّر الضمة في الياء على تشبيه المعتل بالصحيح ، فصار الجزم كأنّه بحذف الضمة ، كما قال :

لم يأتيك والأنباء تنمي

وهو كثير مستعمل في كلام العرب. والوجه الثالث : أن تكون (من) بمعنى الذي كما قدّمناه، ويكون (يتقي) معربا غير مجزوم ، ويكون إسكان الراء في (ويصبر) استخفافا لثقل الضمّة في الرّاء بسبب تكريرها ...» ([2])

وقد أشار لهذه الوجوه والعلل أيضا الإمام ابن أبي مريم ([3])

المطلب الرابع: توجيه (قراءة هَيْتَ)

[1]ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 338

[2]ـ شرح الهداية : ص 553

[3]ـ الموضح في وجوه القراءات وعللها : ج 2 ، ص 689.

في معرض حديثه على المبني على شيء غير مبيّن ، وبالضبط عند كلامه على ما بني على الضمّ من أسماء الأفعال قال ـ رحمه الله ـ :«ومثال مابني على الضمّ : هيتُ ـ بمعنى تهيّأت ـ قال تعالى :﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾([1])، وقيل : المعنى هلُمّ لك ، فلك تبيين مثل سقيا لك ، وقرئ (هيت) مثلثة التاء ، فالكسر على أصل التقاء الساكنين ، والفتح للتخفيف كما في أين وكيف ، والضمّ تشبيها بحيث ، وقرئ «هئتُ» بكسر الهاء ، وبالهمزة ساكنة ، وبضمّ التّاء ، وهو على هذا فعل ماض وفاعل ، من هاء يهاء كشاء يشاء ، أو من هاء يهيءُكجاءَ يجيءُ .» ([2])

يخبر الإمام ابن هشام ـ رحمه الله ـ في هذا الموضع أنّ لفظة هيت الواقعة في سورة يوسف قرئت بثلاث قراءات دون نسبته كلّ قراءة لمن قرأ بها ، وقد قام بتعليل كلّ قراءة وبيان وجهها .والقراءات التي أوردها من القراءات العشر المتواترة ، فقراءة «هِئْتُ» بكسر الهاء وسكون الهمزة وضمّ التاء رواية هشام عن ابن عامر ، وأمّا قراءة «هِيتَ» بكسر الهاء وياء ساكنة مدية بعدها وفتح التاء ، فقرأ بها المدنيان ـ نافع وأبو جعفر ـ وأمّا قراءة «هِيتُ» بكسر الهاء وياء ساكنة مدية بعدها وضمّ التاء فقرأ بها ابن ذكوان عن ابن عامر ، وأمّا قراءة «هَيتُ» بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مضمومة فقرأ بها ابن كثير ، وأمّا قراءة «هَيْتَ بفتح الهاء وسكون الياء وفتحالتاء فهي قراءة البقية من العشرة ([3])

والقراءة التي مثّل بها الإمام ابن هشام للقاعدة التي تحدّث عنها هي قراءة «هَيْتُ بفتح الهاء وإسكان الياء وضمّ التاء ، وقد قام بتوجيهها عندما ذكر أنّها بمعنى : تهيّأت ، أي اسم فعل ماض ، ثمّ ذكر قولا بصيغة التمريض فيه معنى آخر لها وهو احتمال أن تكون بمعنى : أقبل وهلّم ، أي : أنّها اسم فعل أمر، والتاء في كلتا القولين جزء من الكلمة وليست ضميرا ، وبعد بيانه وتوجيهه أخبر أنّ لفظة هيت قرئت مثلثة التاء ، أي مفتوحة ومضمومة ومكسورة مع توجيهه لكلّ قراءة ، فالكسر لالتقاء الساكنين ،

[1] ـ سورة يوسف : الآية 23

[2] ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ص 155

[3] ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح القاضي ، ج 1 ، ص 423 ـ 424 .

والفتح لقصد التخفيف ، والضمّ تشبيها بالأسماء المبنية على الضمّ كحيث ، ثمّ ذكر قراءة هِئْتُ بكسر الهاء وسكون الياء وضمّ التاء ، وهي رواية الدّاجوني وإبراهيم بن عبّاد عن هشام عن ابن عامر ، ووجّهها الإمام ابن هشام توجيها نحويا فأخبر أنّها على هذا الوجه هي فعل وفاعل ، فالتاء ضمير رفع متصل مسندة للفعل، ثمّ بيّن مصدر هذا الفعل مجوزا احتمال كونه من هاء يهاء كشاء يشاء ، أو من هاء يهيء كجاء يجيء ، وهذا التوجيه من جهة النحو صواب ومن جهة المعنى ، فإنّه كما سبق القول هو على إخبار امرأة العزيز عن نفسها ، أي تهيأت لك .

وقد أشار إلى هذا التوجيه الأخير لقراءة «هِئْتُ» بكسر الهاء وضمّ التاء مع الهمز كثير من المفسرين والمقرئين ، منهم الإمام أبو حيّان الأندلسي الذي قال : « ..... وإلاّ من ضمّ التاء وكسر الهاء سواء همز أم لم يهمز ، فإنّه يحتمل أن يكون اسم فعل كحالها عند فتح التاء أو كسرها ، ويحتمل أن يكون فعلا واقعا ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيئ إذ أحسن هيئته على مثل : جاء يجيء ، أو بمعنى تهيأت ، يقال : هيت وتهيأت بمعنى واحد ...» ([1])

المطلب الخامس :توجيه قراءة (وأرجلِكم إلى الكعبين)

في معرض حديثه عن المجرور بالمجاورة وإخباره أنّ ذلك يقع في باب النعت والتوكيد ، وعطف النسق قال ـ رحمه الله ـ : « وأمّا المعطوف فكقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾([2])في قراءة من جرّ الأرجل لمجاورته للمخفوض وهو الرؤوس ، وإنّما كان حقّه النّصب كما هو في قراءة جماعة آخرين ، وهو منصوب بالعطف على الوجوه والأيدي ، وهذا قول جماعة من المفسرين والفقهاء، وخالفهم في ذلك المحققون ، ورأوا أنّ الخفض على الجوار لا يحسن

[1] ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 294

[2] ـ سورة المائدة : الآية 6

في المعطوف ، لأنّ حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة ، نعم لا يمتنع في القياس الخفض على الجوار في عطف البيان ، لأنّه كالنعت والتوكيد في مجاورة المتبوع ، وينبغي امتناعه في البدل ، لأنّه في التقدير من جملة أخرى ، فهو محجوز تقديرا ، ورأى هؤلاء أنّ الخفض في الآية إنّما هو بالعطف على لفظ الرؤوس ، فقيل : الأرجل مغسولة لا ممسوحة فأجابوا على ذلك بوجهين ، أحدهما : أنّ المسح هنا الغسل ، قال أبو علي : حكى لنا من لا يتهم أنّ أبا زيد قال : المسح خفيف الغسل ، يقال : مسحت للصلاة ، وخصّت الرجلان من بين سائر المغسولات باسم المسح ليقتصد في صبّ الماء عليهما ، إذ كانتا مظنّة للإسراف ، والثاني : أنّ المراد هنا المسح على الخفين ، وجعل ذلك مسحا للرجل مجازا ، وإنّما حقيقته أنّه مسح للخف الذي على الرجل ، والسّنة بيّنت ذلك ، ويرجّح ذلك القول ثلاثة أمور:

أحدها : أنّ الحمل على المجاورة حمل على شاذ ، فينبغي صون القرآن عنه ، الثاني : أنّه إذا حمل على ذلك كان العطف في الحقيقة على الوجوه والأيدي ، فيلزم الفصل بين المتعاطفين بجملة أجنبية وهو ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ وإذا حمل على العطف على الرؤوس لم يلزم الفصل بالأجنبي ، والأصل أن لا يفصل بين المتعاطفين بمفرد فضلا عن الجملة ، الثالث: أنّ العطف على هذا التقدير حمل على المجاور ، وعلى التقدير الأول حمل على غير المجاور ، والحمل على المجاور أولى ، فإن قلت : يدل للتوجيه الأول قراءة النّصب ، قلت لا نسلم أنّها عطف على الوجوه والأيدي ، بل على الجار والمجرور ...»([1]).

في هذا النّص مثّل الإمام ابن هشام للمجرور للمجاورة في باب عطف النّسق بقراءة من قرأ لفظة أرجلِكم بكسر اللام على أنّها معطوفة على الرؤوس المجرور، ولم يسند هذه القراءة لمن قرأ بها ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة وشعبة عن عاصم ، ثمّ ذكر أنّ لفظة أرجلكم كان حقّها النّصب مصرّحا أنّه وردت قراءة على هذا الشكل دون إسنادها ، وقراءة النّصب قرأ بها نافع وابن عامر وحفص والكسائي ، وهي في توجيهه ،وتوجيه غيره من القرّاء والمفسرين والفقهاء أنّها معطوفة بالنصب على

[1] ـ شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ص 348 ـ 349 .

الوجوه والأيدي ثمّ أخبر أنّ القائلين بالعطف على المجاورة رأوا أنّ العطف في الآية هو على الرؤوس لا على الوجوه والأيدي ، لكن على هذه القراءة يكون فيه إشكال ، وذلك أنّنا إذا قلنا إنّ العطف هو على الرؤوس يقتضي أن تكون الأرجل ممسوحة . وقد بيّنت السنة أنّ الأرجل محلّها الغسل ، فذكر ابن هشام أنّ القائلين بالعطف على الرؤوس أجابوا عن ذلك بوجوه ، منها :

أنّ المراد من المسح هنا هو الغسل، وهذا وارد في لغة العرب .

ـ أنّ المسح يراد به المسح على الخفيّن وأطلق على الأرجل مجازا لا حقيقة، لأنّ المسح في الحقيقة على الخف لا على الرجل .

وذكر ابن هشام بعدها أنّ هذا الرأي يتقوى بثلاث مرجحات وهي :

ـ أنّ العطف على المجاورة حمل شاذ ، ينبغي أن ينزّه القرآن عنه ويصان.

ـ أنّ حمل العطف على الوجوه والأيدي يقتضي الفصل بين المتعاطفين بجملة أجنبية ، وإذا حمل العطف على الرؤوس لم يلزم الفصل بفاصل أجنبي وهذا هو الأصح من جهة النحو .

ـ أنّ حمل العطف على الوجوه والأيدي يقتضي الحمل على غير المجاور، والعطف على الرؤوس حمل على المجاور وهذا أولى .

وظاهر كلام ابن هشام تقويته لقراءة الجرّ وتوجيهها بما ذكره وأورده من مرجحات، وأنّ قراءة النّصب عنده العطف فيها ليس على الوجوه والأيدي بل على الجار والمجرور . وقد ذكر التوجيه الذي أورده ابن هشام كثير من المقرئين والمفسرين منهم : الإمام أبو العبّاس المهدوي ، حيث قال : « ... ومن قرأ بالجرّ ففيه أقوال ، أحدها : أنّه عطف الغسل على المسح حملا على المعنى ، كما قال الشاعر :

يا ليت بعلك قد غدا متقلّدا سيفا ورمحا

فعطف الرّمح على السيف حملا على المعنى، لأنّ الرّمح لا يتقلّد ، والمعنى : متقلّدا سيفا وحاملا رمحا ، وقيل : إنّ جبريل عليه السلام إنّما نزل بالمسح ، والغسل بالسنة ، وقيل : إنّ العرب تسمي الغسل مسحا ، إذا لا بدّ من مسّ الأعضاء فيه باليد . قال أبو زريد : المسح خفيف الغسل ، ويقوي هذا القول قولهم : «تمسّحت للصلاة » ، ويقويه أيضا : أنّ الله تبارك وتعالى ذكر المسح والسل فحدّد

الغسل ولم يحدد في المسح ، فكان قوله : «إلى الكعبين» دليلا على أنّ الغسل ، لأنّه حدّد فيه كما حدّد في قوله : إلى المرافق ، ولم يأت في مسح الرّأس ولا في التيمم الذي هو مسح تحديد . وقيل : إنّه مخفوض على الجوار وهو أضعف الوجوه » ([1])

وذكر نفس التوجيه أيضا الإمام مكي بن أبي طالب القيسي([2]) ، ونبّه عليه من المفسرين الإمام ابن عطية ([3])، وابن الجوزي ([4])،وأبو حيّان الأندلسي ([5])

المطلب السادس : توجيه قراءة (وما هو على الغيب بظنين)

في معرض حديثه عن أفعال القلوب والتصيير المتعدية إلى مفعولين ، وبالضبط عند كلامه عن ظنّ قال ـ رحمه الله ـ : « واحترزت من ظنّ بمعنى اتّهم فإنّها تتعدى لواحد نحو قولك : «عدم لي مال فظننت زيدا» ومنه قوله تعالى :﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾([6]) أي ما هو بمتهم على الغيب ، وأمّا من قرأبالضاد فمعناه : ما هو ببخيل » ([7])

فالإمام ابن هشام ينص على ثبوت قراءتين في لفظة «بضنين » الأولى بالظاء والثانية بالضاد، غير أنّه لم ينصّ على من قرأ بكلّ واحدة منهما من أئمة السبعة أو العشرة ، وقد قرأ بالظاء الإمام ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء البصري والكسائي ورويس، والبقية من العشرة بالضاد . ويظهر من توجيه الإمام ابن هشام رحمه الله ـ أنّه توجيه لغوي معنوي تأويلي عمد فيه إلى بيان معنى الكلمتين في لغة العرب حسب دلالتهما في السياق ، فظنين بالظاء في مقابلة وصفه صلى الله عليه وسلم بالأمين على الوحي ، أي

---

[1] ـ شرح الهداية : ص 353 ـ 354 .

[2] ـ ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، ج 1 ، ص 353 ـ 354 .

[3] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج2 ، ص 192 .

[4] ـ زاد المسير في علم التفسير : ج 2 ، ص 298 .

[5] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 452 .

[6] ـ سورة التكوير : الآية 24

[7] ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ص 377

ليس بمتهم في تبليغ الوحي . وأمّا قراءة الضاد فمعناها بشحيح وبخيل من قول العرب : ضنّ بالشيء بخل به . وقد ذكر توجيه هاتين القراءتين بهذا المعنى كثير من المفسرين والمقرئين ، منهم الإمام الطبري القائل : « اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (بضنين) ، بمعنى أنّه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علّمه الله ، وأنزل إليه من كتابه . وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين (بظنين) ، بمعنى أنّه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء ...»([1])

وذكر نفس توجيه القراءتين الإمام الزّمخشري ، حيث قال : « بظنين بمتهم من الظنّة وهي التهمة وقرئ : (بضنين) من الضنّ وهو البخل ، أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه ، أو يسأل تعليمه فلا يعلّمه ، وهو في مصحف عبد الله بالظّاء ، وفي مصحف أبي بالضاد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما.» ([2]) وقد أشار إلى توجيه القراءتين بالمعنى المذكور جلّ المصنفين في علم التوجيه ، وممّن نصّ على ذلك : عبد الرحمان بن محمد بن زنجلة أبوزرعة ، والإمام مكي بن أبي طالب القيسي([3]) ، والإمام أبو العبّاس المهدوي ، والإمام ابن أبي مريم . وهذا يؤكد صحّة توجيه الإمام ابن هشام للقراءتين ممّا يثبت وقوفه على كثير من الكتب في المصنفة في توجيه القراءات والاطلاع على كتب التفسير .

المطلب السابع :توجيه قراءة (حمّالة الحطب)

في معرض حديثه عن النعت تطرق للحديث عن حال المنعوت إذا كان معلوما بدون النعت ، فأخبر أنّ النحاة يجوّزون فيه ثلاثة أوجه : الإتباع فيخفض ، أو القطع بالرفع بإضمار هو ، أو بالنصب بإضمار فعل،وقد مثّل للوجه الثالث ـ رحمه الله ـ بقوله: «... والثالث كما في قوله

[1] ـ جامع البيان في تأويل آيالقرآن : ج 24 ، ص 260.

[2] ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ج 4 ، ص 713.

[3] ـ ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها : ج 2 ، ص 812.

تعالى:﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾([1]) يقرأ في السّبع حمّالة الحطب بالنّصب بإضمار أذمّ ، وبالرّفع إمّا على الإتباع، أو بإضمار هي » ([2])

فالإمام ابن هشام ينص على ثبوت قراءتين في لفظة (حمالة) بالنصب والرفع ، مخبرا أنّهما في السبع دون أن ينسبهما للقارئين بهما من أئمة السبعة ، وقد قرأ بالنّصب عاصم ، وقرأ البقية من السبعة والعشرة بالرفع ، وقد وجّه ابن هشام القراءتين توجيها نحويا ، فقراءة عاصم بالنصب على إضمار فعل الذمّ وقدّره بقوله : أذمّ ،فتكون حمالة مفعولا به ، وأمّا قراءة البقية بالرفع فهي تحتمل إمّا الإتباع ، أي أن تكون نعتا لمرأته ، أو على أنّها بدل لشبهها الجوامد ، أو تكون مرفوعة بإضمار هي ، أي : هي حمالة الحطب ، وقد ذكر هذه الأوجه الإعرابية للقراءتين كثير من المعربين والمقرئين ، منهم الإمام أبو جعفر النحاس حيث قال : « حمالة الحطب بالرفع فيها قولان أحدهما : أنّه نعت لامرأته والآخر أنّه خبر لابتداء ... ومن قرأ «حمّالة الحطب» ففي قراءته قولان أحدهما: أنّه منصوب على الحال لأنّه يجوز على أن تدخل فيه الألف واللام فلمّا حذفهتما نصب على الحال . والقول الآخر أنّه منصوب على الذم أي أعني حمّالة الحطب » ([3])

وأشار لنفس التوجيه والتخريج الإمام مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله ـ فقال :« ... ومن ذلك قوله : (حمالة الحطب) قرأه عاصم بالنصب على الذمّ لها ، لأنّها كانت قد اشتهرت بالنميمة فجرت صفتها على الذمّ لها ، لا للتخصيص ، وفي الرفع أيضا ذمّ ، لكن هو في النصب أبين ، لأنّك إذا نصبت لم تقصد إلى أن تزيدها تعريفا وتبيينا ، إذا لم تجر الإعراب على مثل إعرابها ، إنّما قصدت إلى ذمّها ،لا لتخصيصها من غير بهذه الصفة التي اختصصتها بها ، وعلى هذا المعنى يقع النصب في غير

[1] ـ سورة المسد :الآية 4

[2] ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ص 440

[3] ـ إعراب القرآن : ج 5 ، ص 306.

هذا على المدح . وقرأ الباقون بالرفع على الصفة ، أو على إضمار مبتدأ ، أي: هي حمّالة الحطب ، أو على البدل من مرأته ،أو على الخبر لامرأته » ([1])

خاتمة:

من خلال ما سبق من عرض بعض القراءات القرآنية الواردة في كتاب شذور الذهب في معرفة كلام العرب للإمام ابن هشام الأنصاري وتحليلها ومقارنتها بأقوال علماء التوجيه والتعليل يمكن تدوين جملة من النتائج استخلصت من هذا البحث :

• ورود القراءات القرآنية في كتاب شرح شذور الذهب كانت في موضع الشاهد على القضايا والمسائل النحوية ممّا يؤكد اعتناء واهتمام ابن هشام ـ رحمه الله ـ بالشاهد القرآني في الدرس النحوي وتقديمه على غيره من الشواهد الأخرى .

•الغالب على منهج ابن هشام في إيراده للقراءات القرآنية من خلال الأمثلة الواردة في البحث أنّه لا يعزوها إلى أصحابها ، فلا يذكر من قرأ بها باستثناء موضعين فحسب صرّح فيها بصاحب القراءة ، وذلك في قراءة الكسائي «ألا يا اسجدوا» ، وقراءة قنبل عن ابن كثير «ومن يتّق»

• الأصول والقواعد التي اعتمدها ابن هشام ـ رحمه الله ـ في تعليل القراءات وتوجيهها هي أصول أصلية في التعليل تتركز في أصل اللغة ، وبالضبط في النحو ولغات العرب ، ويتجلى تعليله بلغات العرب عند حديثه عن قراءة «وأرجلكم إلى الكعبين» ، وقراءة «وما هو على الغيب بضنين» ، وبقية القراءات الواردة في البحث الغالب فيها التوجيه النحوي .

• من المسالك التي اعتمدها ابن هشام في التوجيه سلوكه لمنهج التوجيه التأويلي ، والذي من أنواعه التأويل بالحذف والتأويل بالإضمار ، وقد لمس هذا عند توجيهه لقراءة الإمام الكسائي ، حيث وجّهها على حذف المنادى ، ووجّه قراءة عاصم لحمالة بالنصب على إضمار فعل الذّم .

[1] ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها : ج 2 ، ص 839 .

• تطابق آرائه في التوجيه والتعليل مع أقوال الأئمة المصنفين في علم التوجيه والمفسرين الذين اعتنوا بتوجيه القراءات في تفاسيرهم ، ممّا يؤكد اطلاعه على كثير من المصنفات في هذا الفنّ وإلمامه بمسائل هذا العلم .

•استبعاده لبعض وجوه القراءة ممّا يشعر بتضعيفه لذلك الوجه المعلّة به القراءة ، وذلك عند حديثه عن قراءة «مائة سنين » ، حيث استبعد أن تكون سنين بدل من مائة على قراءة من قرأ مائة بالتنوين ، فقال : «فمن نوّنها «فسنين» بدل من ثلاث ، فهي منصوبة ، والياء علامة النّصب ، قيل : أو مجرورة بدل من مائة ، والياء علامة الجرّ ، وفيه نظر ، لأنّ البدل يعتبر لصحته إحلاله محلّ الأوّل مع بقاء المعنى ، ولو قيل ثلاث سنينَ لا ختّل المعنى كما ترى ...».

• ظهر في توجيه ابن هشام للقراءات ترجيحه لبعض الأوجه واعتماده على أسس وقواعد في الترجيح، وقد تجلّى ذلك في معرض حديثه عن قراءة «وأرجلكم إلى الكعبين» ، ومن بين الأسس التي اعتمدها في الترجيح هي : حمل كلمات القرآن في الإعراب على القواعد المشهورة والنأي به عن القواعد الشاذة ، وهذه من قواعد الترجيح المتعلقة بالإعراب .

وفي الختام فهذا ما أردت بيانه في هذا المقال من إبراز جهود الإمام ابن هشام الأنصاري في تعليل القراءات القرآنية وتوجيهها . وإظهار مدى عنايته بها ،وتوظيفه لها في الدرس النحوي ، مع الكشف عن منهجه في التعامل مع تلك القراءات تعليلا منطقيا يقوم على وعي بالدرس اللغوي ، وفهم للنص القرآني.

قائمة المصادر و المراجع:

01ــ إعراب القرآن و بيانه: محي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، ط 4 ، دار اليمامة ــ بيروت ، دمشق ــ ، 1415 هـ .

02ـ الأرجوزة المنبهة على أسماء القرّاء والرّواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات ، ط1 ، تحقيق : محمد بن مجقان الجزائري ، السعودية ـ دار المغني للنشر والتوزيع ـ ، 1420 هـ ـ 1999م

03ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة : عبد الفتاح القاضي ، ط 5 ، مراجعة وإعداد : صبري رجب كرّيّم ، مصر ـ دار السلام ـ ، 1432 هـ ـ 2011 م .

04ـ البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، ط 1 ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ـ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركائه ، 1376 هـ ـ 1957 م.

05ـ التسهيل لعلوم التنزيل : أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، ط 1 ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ ، 1425هـ ـ 2004 م .

06ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط ، تحقيق : عبد الرزاق مهدي ، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ ، د ت.

07ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها : أ بو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، ط 1 ، تحقيق : جمال الدين محمد شرف، مصر ـ دار الصحابة للتراث والنشر بطنطا ـ 1430هـ ـ 2009م

.08ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، ط 1 ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ، 1413 هـ ـ1993 م .

09ـ إنباه الرواة على أخبار النحاة : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، ط 1 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ ، 1406 ـ 1982 م .

10ـ تاج العروس من جواهر القاموس : محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي ، د ط ، تحقيق : علي شبري ، بيروت ـ دار الفكر ـ 1994 م ـ 1414 هـ .

11ـ تأويل مشكل القرآن : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ط 2 ، شرح ونشر : السيد أحمد صقر ، القاهرة ـ دار التراث ـ ، 1393 هـ ـ 1973 م .

12ــ تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط1 ،تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، لبنان ــ دار الكتب العلمية ــ ، 1422 هـ ــ 2001 م
13ــ تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي ، ط1 ، تحقيق : أحمد عبد الرحمان مخيمر ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ، 2004 هـ ــ 2015 م .
14ــ جامع البيان في تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري ، ط 1 ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، لبنان ـ مؤسسة الرسالة ــ ، 1420 هـ ــ 2000 م .
15ــ حجة القراءات : أبو زرعة عبد الرحمان بن محمد بن زنجلة ، ط 5 ، تحقيق سعيد الأفغاني ، بيروت ــ مؤسسة الرسالة ــ ، 1418 هـ ــ 1997 م .
16ــ شرح الهداية : أبو العبّاس أحمد بن عمّار المهدوي ، ط 1 ، تحقيق : حازم سعيد حيدر ، الأردن ـ دار عمّار ـ 1427 هـ ــ2006 م .
17ــ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : جمال الدين بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام الأنصاري ، ط1 ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ـ دار الطلائع ــ ، 2004 م .
18ــ طبقات النحويين واللغويين : محمد بن الحسن الزبيدي ، ط 1 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ــ مكتبة الخانجي ــ ، 1954 م .
19ــ غاية النهاية في طبقات القراء : محمد بن محمد بن محمد الجزري ، ط 3 ، عني بنشره : ج . برجستراسر ، بيروت ــ دار الكتب العلمية ، 1402 هـ .
20ــ كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها : نصر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي المعروف بابن أبي مريم ، ط 1 ، تحقيق : عمر حمدان الكبيسي ، د م ، 1414 هـ ــ 1998 م .
21ــ كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ط 3 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ــ مكتبة الخانجي ــ ، 1408 هـ ــ 1988 م.
22ــ لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور ، ط 1 ، بيروت ــ دار صادر ــ ، د ت .

23ــ معاني القرآن : أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، ط 1 ، تحقيق : هدى محمود قراعة ، القاهرة ــ مكتبة الخانجي ــ ، 1411 هـ ــ 1990 م .
24ــ معاني القرآن : أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفرّاء ، د ط ، تحقيق : أحمد يوسف النجاتي ــ محمد علي النّجار ، مصر ــ الدار المصرية للتأليف والترجمة ــ ، د ت .
25ــ معاني القرآن و إعرابه : أبو إسحاق إبراهيم السّري بن سهل المعروف بالزّجاج ، ط 1 ، بيروت ــ عالم الكتب ــ ، 1408 ــ 1988 م .
26ــ معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، ط 1 ، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس ، بيروت ــ مؤسسة الرسالة ــ ، 1404 هـ .